ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع
وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار عليه السلام
بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي ثنا القاضي
أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا محمد وأبو إسحق وأبو الهيثم
قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن
عبد الله ثنا الليث عن سعد عن أبيه عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال ما من الأنبياء
نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما
كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو
أني أكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم
وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله وذهب غير واحد
من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا
عليه السلام إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا
وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه
فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون
لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر
ولا التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من
غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن
يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتأويل

والأول

الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض
الخفي عليه ويغضي ووجه ثالث على مذهب من قال
بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا
عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله
من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن ذلك قبل ولا يكون
بعد لأن الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين
المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان
بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم
بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب
النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد
والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن
معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم
وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال
وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة
في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنها قد يسبق
إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص صاحب
ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى أن
يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق مئين من السنين
بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد
توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها
بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام عن الناس